فاطمة رضي الله عنها عند الباطنية

دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

الباحثة : ريم بنت بدر بن عبدالله البريكان

جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

كلية الآداب – الرياض

من ٣٧٨٩ إلى ٣٨٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فعندما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض، مكثت البشرية عشرة قرون على التوحيد الخالص، حتى أحدث الناس بعد وفاة نوح عليه السلام بدعة أرادوا بها خيراً، ولكنها أفضت إلى الشرك وانحراف البشرية عن طريق الهدى، فدفعهم التعظيم لصالحيهم إلى تصوير التماثيل على هيئتهم، رغبة أن يحثهم ذلك على الاجتهاد في العبادة كلما رأوا تلك التماثيل.

والأمر نفسه وقع مع اليهود والنصارى عندما غلوا في صالحيهم، وقد حذر الله تعالى في كتابه من الغلو في الدين، وفي الصالحين، وعد ذلك من الكفر فقال تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) [التوبة:٣٠] .

والناظر لحال الأمة اليوم يجد أن الغلو في الأشخاص من أهم مسببات الانحراف، ولذا رأيت أهمية البحث في هذا المجال، وقد جعلت عنوان الدراسة :(ملامح الغلو الباطني في فاطمة رضي الله عنها).

مشكلة البحث:

يعد الغلو في فاطمة رضي الله عنها من الاعتقادات الباطلة الواضحة عند أغلب الفرق المنتسبة للإسلام، ويتخذ أشكالاً متعددة حسب درجة الغلو، فنجد أن التوسل بفاطمة رضي الله عنها، واعتقاد عصمتها، وزوجها، وذريتها، من الانحرافات العقدية الشائعة.

ونظراً لخطورة هذا الغلو، وتأثيره الشديد على الاعتقاد، رغبت الباحثة في

بحث هذا الموضوع، وبيان الحق فيه من خلال الكتاب والسنة.

أهداف البحث:

١- إبراز موقف الباطنية من فاطمة رضي الله عنها، واعتقادهم فيها.

٢- بيان وجه الترابط في بعض المعتقدات الغالية في فاطمة رضي الله عنها بين الباطنية ، والشيعة.

٣- الرد على الباطنية في موقفهم من فاطمة رضي الله عنها من خلال الكتاب والسنة.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

تقسيم البحث:

- مقدمة : وتتضمن تمهيدًا، ومشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه.
- المطلب الأول : جوانب الغلو الباطني فيما يتعلق بحياة فاطمة رضي الله عنها، ونشأتها، وأسمائها، والرد عليه .
- المطلب الثاني: جوانب الغلو الباطني فيما يتعلق بزواج فاطمة رضي الله عنها، وذريتها، والرد عليه .
- المطلب الثالث: دعوى الظلم الذي تعرضت له بعد وفاة النبي ﷺ، والرد عليه.
- المطلب الرابع: جوانب الغلو الباطني فيما يتعلق بوفاة فاطمة رضي الله عنها، والرد عليه.
- الخاتمة وفيها النتائج.

المطلب الأول : جوانب الغلو الباطني فيما يتعلق بحياة فاطمة رضي الله عنها، ونشأتها، وأسمائها، والرد عليه .

تزعم المصادر الباطنية، وتوافقها في ذلك بعض المراجع الشيعية[1]، أن حمل خديجة بفاطمة رضي الله عنها كان نتيجة لأكل النبي ﷺ ثمرة من ثمار الجنة، ويروون عن النبي ﷺ أنه قال:((عندما عرج بي جبريل عليه السلام إلى ربي، ورأيت كل ما رأيته في الملكوت وناداني كل ما فيها من شيء حتى ثمارها، وأخذ حبيبي جبريل عليه السلام تفاحة من تفاح الجنة، فقال لي: يا رسول الله، ربك يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذه التفاحة فإن من مائها إذا تخلق تفاحة الدنيا والآخرة، وهي فاطمة ابنتك، ورأيت النار وما فيها ثم هبطت إلى الدنيا، فوافيت خديجة عليها السلام فحملت بفاطمة.)) "[2] .

ويذكر أحد أبرز دعاة الإسماعيلية الباطنية وهو إدريس القرشي[3] هذا الحديث المكذوب ويربطه بمعتقدهم في الإمامة، وقولهم بباطن النص فيشرحه بعد أن يذكر نص الحديث " أن النبي ﷺ كان يقبلها ويشمها فيسئل عن ذلك، فيقول:((إن جبرائيل أتاني بتفاحة من ثمار الجنة فأكلتها، وواقعت خديجة فكانت منها فاطمة، فأشم رائحة الجنة))،

---

(١) انظر: الأمالي، للصدوق(١٣٩-١٤٠)، الطبعة الأولى١٤٣٠، الناشر مؤسسة الأعلمي في بيروت، وانظر بحار الأنوار، المجلسي(٥/٤٣)، الطبعة الثالثة١٤٠٣، الناشر دار إحياء التراث العربي في بيروت.

(٢) الهداية الكبرى، الحسين الخصيبي(١٧٦-١٧٧)، الطبعة الأولى١٤١١، الناشر مؤسسة البلاغ في بيروت، وانظر أيضاً: زهر المعاني، إدريس بن عماد الدين القرشي(١٧٧)، الطبعة الأولى١٤١١، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر في بيروت.

(٣) هو إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبدالله بن علي بن محمد بن حاتم القرشي، أول مؤرخ إسماعيلي، أرخ لدور الستر وللعهد الفاطمي، وللدولة الإسماعيلية في اليمن، وهو الداعي المطلق التاسع عشر عند الإسماعيلية، ونائب غيبة الإمام المستور أبو القاسم الطيب، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: زهر المعاني، عيون الأخبار وفنون الآثار، نزهة الأفكار، وغيرها، يرجح المؤرخون ولادته أواخر القرآن الثامن، أو مطلع القرن التاسع، توفي سنة٨٧٢هـ، للاستزادة انظر: مقدمة محقق كتاب زهر المعاني مصطفى غالب(٦-٨)، وانظر أيضاً: تاريخ الإسماعيلية، عارف تامر(٧٢/٤)، الطبعة الأولى١٩٩١، الناشر رياض الريس للنشر في لندن وقبرص.

والجنة هي المعنى الشريف المصطفي من مجمع الدعوتين، الأوليتين، اللطيفتين دعوة أبي طالب، ودعوة عبدالمطلب، فكانت فاطمة عليها السلام من زبدة تلك الرطب، وظهرت من دعوة محمد، فمن أراد أن يشم رائحة الجنة فليتصل بها، وبما تبديه من أمر وليها المكنون عندها، لأنها حجة علي بن أبي طالب المبينة لدعوته، والقائمة بباطن علمه، وهداية المتصلين به، فمنها تشم الجنة، وتعرف حقيقة الدعوة."[1]ونلحظ هنا التفسير الباطني للنص المزعوم عن النبي ﷺ، ويبدو الغلو واضحاً في فاطمة رضي الله عنها فهي الحجة، والهداية لمن اتصل بها، ومنها تشم رائحة الجنة، وغيره.

وقد أوردوا بعضاً من الروايات مما هو أعظم من هذا، فقد زعموا أن الله خلق فاطمة رضي الله عنها وزوجها وابنيها وأبيها من نور وجهه، و نسبوا ذلك القول لجعفر الصادق رحمه الله فزعموا أنه قال:" إن الله خلق حُجباً من نور وجهه وسمى كل واحد منهم اسماً من أسمائه، فهو الحمد سمى به نبيه ﷺ، وهي العلي، وأمير المؤمنين علي، وله الأسماء الحسنى، اشتق منها اسم الحسن والحسين، وهو فاطر السماوات والأرض، اشتق منها اسم فاطمة، فلما خلقهم أقامهم عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة، فلما نظروا عظموا شأنهم، وتعلموا التسبيح منهم، فتسبيحهم تسبيح الملائكة. قال أبو عبدالله: وذاك قول الله ﷻ: (وإنا لنحن الصافون- وإنا لنحن المسبحون) [الصافات١٦٥-١٦٦] يعني الخمسة الذين خلقهم من نور وجهه روحانيين"[2].

وعندما نتتبع النصوص السابقة يتضح لنا بمجرد الاطلاع عليها بطلانها، لأنها تتعارض مع ما ورد في الكتاب والسنة، ونجمل الرد عليهم في النقاط التالية:

١- النص الذي زعموه، وادعوا من خلاله أن فاطمة رضي الله عنها خلقت خلقاً مغايراً لخلق بقية بني آدم معارض لما في القرآن الكريم والسنة النبوية من تفصيل خلق الإنسان، ولم يرد استثناء إلا في خلق آدم وعيسى عليهما السلام، ولم يذكر

---

(١) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٧٦).

(٢) الكشف، جعفر بن منصور اليمن(٥٠-٥١)، الطبعة الأولى١٤٠٤، الناشر دار الأندلس في بيروت.

خصيصة لخلق فاطمة رضي الله عنها، أو كونها نشأت بصفة مغايرة، فمن أين جئتم بهذا؟ فإن القاريء للقرآن يجد خلق الإنسان في مواضع كثيرة على صفة واحدة، كانت البداية من تراب ثم نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم تشكل الإنسان، وهذا الوصف مضطرد في القرآن وجاء ذكره في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا) [الحج:٥] فلم يذكر شيئاً عن خلق فاطمة رضي الله عنها كما ادعوه، فهي خلقت كما خلق سائر بني جنسها من بني آدم، وقد نص النبي ﷺ على خلق بني آدم من تراب، فلم لم ينص على أن فاطمة رضي الله عنها خلقت خلقاً مغايراً حتى يعرف الناس فضلها؟ والحديث رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:((إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان، التي تدفع بأنفها النتن))(١)، وفي الحديث ذم للتفاخر بالأنساب، والغلو في الأشخاص، ففيه رد عليهم من أكثر من جهة.

٢- أنه رغم ما ذكر في القرآن من خصيصة خلق آدم وخلق عيسى عليهما السلام، فإنه لم يرد شيء يخصهم بخصائص أخرى، وقد جاء النهي القرآني عن الغلو فيهما كما قال الله تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل ىدم خلقه من تراب ثم قال له

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب التفاخر بالأحساب، حديث رقم ٥١١٦،(٤٣٨/٧)، بدون طبعة، الناشر المكتبة العصرية في لبنان، وأخرجه الترمذي في سننه في أبواب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، حديث رقم ٣٩٥٥،(٧٣٤/٥)، الطبعة الثانية١٣٩٥، الناشر مطبعة مصطفى الحلبي في مصر، وأخرجه أحمد أيضاً في مسند أبي هريرة ﷺ، حديث رقم ٨٧٣٦،(٣٤٩/١٤)، الطبعة الأولى١٤٢١، الناشر مؤسسة الرسالة في بيروت، والحديث صححه الترمذي في السنن في أحد رواياته، وحسن الأخرى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم١٧٨٧،(١/-٣٦٨٣٦٧)، الطبعة الثالثة١٤٠٨، الناشر المكتب الإسلامي في بيروت ودمشق.

كن فيكون) [آل عمران:٥٩] .

٣- الحديث الذي زعموه مكذوب من جميع طرقه، ويفضح ذلك أن فاطمة رضي الله عنها ولدت قبل النبوة، وقبل الإسراء والمعراج، وعلق عليه جمع من أهل الحديث ووصفوه بالوضع، وعده ابن الجوزي من الموضوعات فقال:" هذا حديث موضوع لا يشك المبتدئ في العلم في وضعه فكيف بالمتبحر، ولقد كان الذي وضعه أجهل الجهال بالنقل والتاريخ، فإن فاطمة ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وقد تلقفه منه جماعة أجهل منه فتعددت طرقه، وذكره الإسراء كان أشد لفضيحته فإن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة بعد موت خديجة، فلما هاجر أقام بالمدينة عشر سنين، فعلى قول من وضع هذا الحديث يكون لفاطمة يوم مات النبي ﷺ عشر سنين وأشهر، وأين الحسن والحسين وهما يرويان عن رسول الله ﷺ، وقد كان لفاطمة من العمر ليلة المعراج سبع عشرة سنة، فسبحان من فضح هذا الجاهل الواضع، على يد نفسه."[١] وقال بوضعه أيضاً الذهبي في التلخيص[٢]، وابن حجر في لسان الميزان [٣]، والسيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة[٤]، قال الحاكم : هذا حديث غريب الإسناد والمتن[٥].

٤- أما قولهم بأن الرسول ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين خلقوا من نور وجه الله فباطل مردود بما اضطرد في القرآن من كيفية خلق الإنسان بلا استثناء لخلق آل البيت على طريقة معينة، كما أن مقتضى دليلهم هو تقدم خلق هؤلاء الخمسة على

(١) الموضوعات، ابن الجوزي(١/٤١٠-٤١٤)، الطبعة الأولى١٣٨٨، الناشر محمد عبدالمحسن في المدينة المنورة.

(٢) مختصر تلخيص الذهبي، ابن الملقن(١٦٠٧/٣)، الطبعة الأولى١٤١١، الناشر دار العاصمة في الرياض.

(٣) لسان الميزان، ابن حجر(١٣٤/١)، الطبعة الثانية١٣٩٠، الناشر مؤسسة الأعلمي في بيروت.

(٤) اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السيوطي(١/٣٥٩-٣٦١)، الطبعة الأولى١٤١٧، الناشر دار الكتب العلمية في بيروت.

(٥) المستدرك على الصحيحين، الحاكم(١٦٩/٣)، الطبعة الأولى١٤١١، الناشر دار الكتب العلمية في بيروت، وقد بين الحاكم أن سبب غرابته هو وجود مجهول في السند.

خلق آدم عليه السلام، وخلق الملائكة، وهذا معارض لنص القرآن صراحة، فإن آدم هو أبو البشر، وهو أولهم، فكيف يكون هؤلاء الخمسة الذين هم من نسله قبله في الخلق؟!

وأما زعمهم بأن المراد بالصافون في قوله تعالى: (وإنا لنحن الصافون– وإنا لنحن المسبحون) [الصافات ١٦٥-١٦٦] هم الخمسة أصحاب الكساء، فهو قول مخالف لما عليه المفسرون من أن المقصود بالصافون هنا الملائكة[1]، ومخالف أيضاً لما يقتضيه سياق الآيات الذي يتحدث عن الملائكة، فمن أين جاءت دعوى أنهم الخمسة ؟.

ويرد عليهم أيضاً أن الأثر الذي استندوا عليه لم يثبت عن جعفر الصادق رحمه الله، فإن راوي كتاب الكشف الذي ذكر هذا النص لم يذكر لقوله سنداً، كما أنه ليس بحديث صحيح عن النبي ﷺ حتى يعتمد عليه.

ومن الغلو الباطني أيضاً ما يتعلق بالأسماء التي أطلقت على فاطمة رضي الله عنها ، فقد أطلقت الفرق الباطنية على فاطمة رضي الله عنها الكثير من الأسماء والألقاب والكنى، منها : فاطم، فاطر، الصديقة، مريم الكبرى، أم النقي، وأم التقي، وأم البلجة، أم الأئمة، الحوراء[2]، الحصان[3]، وذكروا في سبب تسميتها أموراً:

الزهراء: وجاء في بيان سبب تسميتها بالزهراء " أن الله خلق من نور فاطمة كهيئة القنديل فعلقه في قرط العرش، فأزهرت السماوات والأرض، فمن أجل ذلك

---

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي(٤/٥٠) الطبعة الأولى١٤٢٠، الناشر دار إحياء التراث العربي في بيروت، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي(٣/٥٥٥)، الطبعة الأولى١٤٢٢، النشار دار الكتاب العربي في بيروت، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(١٥/١٣٧)، الطبعة الثانية١٣٨٤، الناشر دار الكتب المصرية في القاهرة.

(2) الحور في اللغة هو نقاء بياض العين، وصفاء سوادها، للاستزادة انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد(١/٥٢٥)، الطبعة الأولى١٩٨٧، الناشر دار العلم للملايين في بيروت، وانظر: الصحاح، الجوهري(٢/٦٣٩)، الطبعة الرابعة١٤٠٧، الناشر دار العلم للملايين في بيروت، ولكن الباطنية لا تقصد هذا المعنى، وإنما أطلقوا على فاطمة ڤ لقب الحوراء لأنها بزعمهم منزهة عن الطمث، وسيأتي بيانه لاحقاً.

(3) انظر: الهداية الكبرى، الخصيبي(١٧٦).

سميت فاطمة الزهراء"[١].

فاطر وفاطمة: وقد ورد إطلاق اسم فاطر على فاطمة رضي الله عنها في كتاب المجموع النصيري، في أحد سورهم المسماة سورة البيت المعمور[٢] وهي السورة الرابعة عشر، فجاء فيها:" والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، بسر طالب وعقيل وجعفر الطيار هم إخوة علي بن أبي طالب نور من نور وجوهر من جوهر وعلي بن أبي طالب منزه عن الإخوة والأخوات والآباء والأمهات، أحداً أبداً موجود، باطن بغير غمود، سر البيت وسقف البيت، وأرض البيت وأربع أركان البيت، أما البيت فهو السيد محمد، وسقف البيت أبو طالب، وأرض البيت فاطمة بنت أسد، وأربع أركان البيت هم محمد وفاطر والحسن والحسين ..."[٣].

وجاء أيضاً في سبب تسميتها بفاطمة وفاطر ما ينسبونه زوراً إلى جعفر الصادق أنه قال:" إن الله خلق حجباً من نور وجهه وسمى كل واحد منهم اسما من أسمائه، فهو الحمد سمى به نبيه ﷺ، وهي العلي، وأمير المؤمنين علي، وله الأسماء الحسنى، اشتق منها اسم الحسن والحسين، وهو فاطر السماوات والأرض، اشتق منها اسم فاطمة، فلما خلقهم أقامهم عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة، فلما نظروا عظموا شأنهم، وتعلموا التسبيح منهم، فتسبيحهم تسبيح الملائكة"[٤]، ومن الأحاديث الموضوعة التي يستدلون بها:((إنما سميت فاطمة فاطمة لأنها فطمت هي وشيعتها وذريتها من النار))[٥].

البتول والطاهرة والحوراء: والسبب في تسميتها بذلك لأن الله نزه أمهات الأئمة

---

(١) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٧٧).

(٢) كتاب المجموع من كتب النصيرية الذي حاكوا به القرآن بزعمهم، وهو مؤلف من ١٦سورة، كل سورة لها اسم، وهم يتلونها في صلواتهم، ومؤلف هذا الكتاب مجهول، وقد نشره المستتشرق رينيه دوسو في كتابه تاريخ ودين النصيرين.

(٣) كتاب المجموع(١٩٧).

(٤) الكشف، جعفر بن منصور اليمن(٥٠).

(٥) دلائل الإمامة، أبو جعفر الطبري(٥٤)، الطبعة الثانية١٤٠٨،الناشر مؤسسة الأعلمي في بيروت.

عن الطمث كما قال الله تعالى:(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[الأحزاب:٣٣] والمقصود بالرجس دم الطمث" [١]، واحتجوا بأن النبي ﷺ لما سئل عن سبب ولادتها لأبنائها بلا دم كبقية النساء في النفاس قال:((إن فاطمة خلقت حورية إنسية))[٢].

وإذا تفحصنا هذه الأسماء وجدنا أغلبها بلا سند أو دليل صحيح، وقد وضعت لأجلها الأحاديث والآثار المنسوبة إلى آل البيت وإلى جعفر الصادق خصوصاً وهم منها براء، فالمعروف عند العرب أن معنى الزهراء هو الحسن و البياض، والمرأة زهراء أي بيضاء [٣]، وقد أطلق هذا اللقب على فاطمة لبياضها وحسنها، وقد ورد هذا اللقب في كتب أهل السنة، منهم: ابن حبان حيث بوب باباً في صحيحه بعنوان : ذكر فاطمة الزهراء ابنة المصطفى ﷺ ورضي عنها [٤]، والآجري في الشريعة حيث قال: " الحسن والحسين رضي الله عنهما خطرهما عظيم ، وقدرهما جليل ، وفضلهما كبير ، أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً الحسن والحسين رضي الله عنها ، هما ذريته الطيبة الطاهرة المباركة ، وبضعتان منه ، أمهما فاطمة الزهراء ، مهجة رسول الله ﷺ ، وبضعة منه [٥] ،"والقرطبي في تفسيره: " وجميع أولاد النبي ﷺ من خديجة سوى إبراهيم. وكل أولاده ماتوا في حياته غير فاطمة. وأما الإناث من أولاده فمنهن: فاطمة الزهراء بنت خديجة " [٦]، كما ورد عن الذهبي أيضاً تسميتها بالزهراء[١]، وابن حجر أيضاً [٢]، وعلى الرغم

---

(١) أربعة كتب إسماعيلية، تصحيح شتروطمان(٩)، الطبعة الأولى١٤٢٢، الناشر مؤسسة النور للمطبوعات في بيروت، وهذا الكتاب عبارة عن رسائل إسماعيلية سرية لا يسمح بالاطلاع عليها إلا من له إذن من أهل الحل والعقد منهم، وقد جمعها المستشرق في هذا الكتاب.

(٢) انظر: دلائل الإمامة، أبو جعفر الطبري(٥٤).

(٣) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي(٧١٢/٢)، وانظر أيضاً: لسان العرب، ابن منظور(٣٣٢/٤-٣٣٣)، الطبعة الثالثة١٤١٤، الناشر دار صادر في بيروت.

(٤) صحيح ابن حبان(٤٠١/١٥)، الطبعة الثانية١٤١٤، الناشر مؤسسة الرسالة في بيروت.

(٥) الشريعة، الآجري(٢١٣٧/٥)، الطبعة الثانية١٤٢٠، الناشر دار الوطن في الرياض.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(٢٤١/١٤).

من إطلاق أهل السنة هذا اللقب على فاطمة رضي الله عنها فإنهم لم يعنوا به ما قصدته الباطنية وأسلافهم من الشيعة، وإنما كان إطلاق هذا اللقب على فاطمة رضي الله عنها مقصور على المعنى اللغوي له وهو الحسن والبياض.

وأما تسميتها بالبتول والطاهرة والحوراء لأنها لم تحض فهذا مخالف لطبيعة الأنثى، وما روي في هذا الخصوص من أحاديث فهو مكذوب، ومنه الحديث الموضوع:((ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث، وإنما سماها فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها من النار))[٣]، وهذا كذب أيضاً فليس كل محبيها محرمين على النار، بل فيهم البر والفاجر، وهم شهدوا على أهل السنة بالكفر على الرغم من محبة أهل السنة لفاطمة رضي الله عنها [٤].

وأما تسميتها بفاطر فهذا إلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته، ومن عظم غلوهم إطلاقهم هذا الاسم على فاطمة وزعمهم أنه الله اشتق لها هذا الاسم من اسمه فاطر السماوات والأرض ، ومن المعلوم أن فاطر السماوات والأرض مما ثبت لله تعالى في كتابه، وورد في ست مواضع من القرآن الكريم، وهو اسم من أسماء الله الحسنى على قول بعض العلماء[٥]، وقال بعضهم بأنه صفة من صفاته[١] على اعتبار أنه لم يجيء في

([١]) ذكر الذهبي لقب الزهراء في مواضع عدة من كتبه، منها: في سير أعلام النبلاء، في جزء الخلفاء الراشدون(٨٧-١٢٠-١٨٠)، الطبعة الثالثة١٤٠٥، الناشر مؤسسة الرسالة في بيروت، وذكره في تذكرة الحفاظ أيضاً(٤/٤٣)، الطبعة الأولى١٤١٩، الناشر دار الكتب العلمية في بيروت.

([٢]) ذكر ابن حجر لفظ الزهراء في مواضع عدة في كتابه فتح الباري منها:(١/٣٥٢)،(١/٤٧٦)،(٩/٤٧١)، طبعة١٣٧٩، الناشر دار المعرفة في بيروت.

([٣]) انظر: الموضوعات، ابن الجوزي(١/٤٢١)، ونقل قول الخطيب: في إسناد هذا الحديث من المجهولين غير واحد وليس بثابت، وقال بوضعه أيضاً السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة(١/٣٦٥).

([٤]) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(٤/٦٣-٦)، الطبعة الأولى١٤٠٦، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض.

([٥]) ممن قال بأن فاطر السماوات والأرض من أسماء الله: النسائي في النعوت الأسماء والصفات(١/٢٨٣)، الطبعة الأولى١٤١٩، الناشر مكتبة العبيكان في السعودية، و الخطابي في شأن الدعاء(١/١٠٣)، الطبعة

القرآن إلا مضافاً كما في قوله تعالىٰ: (فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة) [يوسف:١٠١]، ومن أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ وصفاته تسمية غيره بها، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله في بيان النوع الثاني من أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته:" تسمية الأوثان بها، كما يسمونها آلهة، وقال ابن عباس ومجاهد: عدلوا بأسماء الله تعالىٰ عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم، فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله، والعزىٰ من العزيز، ومناة من المنان..." (٢) ، وهذا ما وقعت به الباطنية عندما زعمت تسمية فاطمة بهذا الاسم.

المطلب الثاني: جوانب الغلو الباطني فيما يتعلق بزواج فاطمة رضي الله عنها، وذريتها، والرد عليه .

تزعم المراجع الباطنية أن الله أمر النبي ﷺ بأن يزوج علي من فاطمة رضي الله عنها ، ويروون في هذا الكثير من الأحاديث المكذوبة، ومنها ما زعموا نسبته لجعفر الصادق رحمه الله:" لما أظهر رسول الله صلىٰ الله عليه وآله فضل أمير المؤمنين كان المنافقون يتخافتون بذلك ويسترونه خوفاً من رسول الله إلىٰ أن خطب أكابر قريش فاطمة، وبذلوا في تزويجها الرغائب(٣)، فكان رسول الله صلىٰ الله عليه و آله لا يزوج أحداً منهم حتىٰ خطبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله: يا علي ما

الأولىٰ١٤١٤، الناشر دار الثقافة العربية في دمشق وبيروت، والبيهقي في الأسماء والصفات، باب جماع ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع(١/٧٤-٧٨)، الطبعة الأولىٰ١٤١٣، الناشر مكتبة السوادي في جدة، وابن تيمية أيضاً في المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ(١/٤٦)، الطبعة الأولىٰ١٤١٨.

(١) ممن قال بأن فاطر السماوات والأرض من صفات الله ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان(٩/١٧٥)، الطبعة الأولىٰ١٤٢٢، الناشر دار هجر في القاهرة، وابن عاشور في التحرير والتنوير(٧/١٥٨)، طبعة١٩٨٤، الناشر الدار التونسية في تونس.

(٢) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم(١/٥٤)، الطبعة الثالثة١٤١٣، الناشر دار الكتبا العربي في بيروت.

(٣) الرغائب هي جمع رغيبة، وهي العطاء الكثير الذي يرغب في مثله، انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد(١/٣٢٠)، وانظر: الصحاح، الجوهري(١/١٣٧).

خطبتها إلا والله زوجك إياها في السماء لأن الله وعد ذلك فيك وفي ابنتي فاطمة، فقام إليه أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وقال: يا رسول الله وقد زوج الله علياً في السماء بفاطمة عليها السلام؟ فقال له عليه السلام: نعم يا ابن أيوب أمر الله الجنة أن تتزخرف، وشجرة طوبى أن تنشر أغصانها في السبع سماوات إلى حملة العرش، وأن تحمل بأغصانها دراً وياقوتاً ولؤلؤاً ومرجاناً وزبرجداً وزمرداً أصكاكاً مخطوطة بالنور، هذا ما كان من الله للملائكة وحملة عرشه وسكان السماوات كرامة لحبيبه وابنته فاطمة ووصيه علي، وأمر لجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل واللوح المحفوظ والقلم ونون، وهي مخازن وحي الله وتنزيله على أنبيائه ورسله وأن يقفوا في السماء الرابعة وأن يخطب جبريل بأمر الله، ويزوج ميكائيل عن الله، ويشهد جميع الملائكة، وانتثرت طوبى من تحت العرش إلى السماء الدنيا، فالتقط الملائكة ذلك النثارة الصكاك فهو عندهم مذخور." [1]فالباطنية تزعم أن الله زوج علياً من فاطمة، وأن الملائكة حضرت نكاحها وشهدت عليه، وأن جبريل عليه السلام هو الذي خطبها، وميكائيل زوجها نيابة عن الله، وأن الجنة تزينت كرامة لفاطمة رضي الله عنها .

وأما عن مهرها فيزعمون أن أبا أيوب رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن نحلتها فقال:" يا أبا أيوب شطر الجنة وخمس الدنيا وما فيها والنيل والفرات وسيحان وجيحان[2] والخمس من الغنائم كل ذلك لفاطمة عليها السلام نحلة من الله، وحباً لا يحل لأحد أن يظلمها فيه بورقة"[3]، فهذا نحلتها من الله، أما علي رضي الله عنه فأصدقها خمسمائة درهم، فزعموا أنه" لما تمت الأربعين يوماً أمر الله رسوله صلى الله عليه و آله أن يزوجها من علي عليه السلام،

([1]) الهداية الكبرى، الخصيبي(١١٢-١١٣).

([2]) النيل والفرات هما النهران المعروفان في مصر والعراق، أما سيحان فهو نهر أذنة من بلاد الروم، وجيحان هو نهر المصيصة من بلاد الروم أيضاً، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي(١٧/١٧٦)، الطبعة الثالثة١٣٩٢، الناشر دار إحياء التراث العربي في بيروت، وانظر: المسالك والممالك، ابن خرداذبة(١/١٧٦-١٧٧)، طبعة ١٨٨٩، الناشر دار صادر أفست ليدن في بيروت.

([3]) الهداية الكبرى، الخصيبي(١١٣).

فزوجت في مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله وحضر جميع المسلمين، وفيهم حاسد لعلي وشامت بفاطمة، وأنها تزوجت من فقير... فلما اجتمع الناس وتكاتفوا قال رسول الله صلى الله عليه و آله:((قد أخبرتكم معاشر الناس ما أكرمني به الله وأكرم به أخي علياً وابنتي فاطمة عليهما السلام وتزويجها في السماء، وقد أمرني الله أن أزوجه في الأرض، وأنا أجعل له نحلتها خمسمائة درهم ثم تكون سنة في أمتي من أغناهم، والمقل منهم ما تراضيا عليه)) . ثم قال: ((قم يا علي فديتك فاخطب لنفسك فإن هذا يوم كرامتك عند الله وعند رسوله))، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله حمداً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلى الله على محمد صلاة تزلفه و تحظيه، ألا وإن النكاح مما أمر الله به ورضيه، ومجلسنا هذا مما قدره الله وقضى فيه، هذا رسول الله ﷺ قد زوجني ابنته فاطمة، وصداقها علي خمسمائة درهم، فاسألوا رسول الله واشهدوا علي، قال رسول الله: ما زوجتك حتى زوجك الله في السماء منذ أربعين يوماً..."[١]

والقول بأمر الله للنبي ﷺ بتزويج فاطمة من علي، واحتفال أهل السماء، ليس قولاً حادثاً ابتدعته الباطنية، بل أخذوه عن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، فمراجعهم تنص على هذا، وتذكر الأحاديث الكثيرة المكذوبة، و الآثار المنسوبة زوراً لآل البيت في ذلك، ومنه:

– جاء في كتاب الكافي أن علياً رضي الله عنه قال: "بينا رسول الله ﷺ جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها، فقال له رسول الله ﷺ: حبيبي جبرئيل لم أرك في مثل هذه الصورة؟ ، قال الملك: لست بجبرئيل يا محمد بعثني الله عز وجل أن أزوج النور من النور، قال: من ممن؟ قال: فاطمة من علي، قال: فلما ولى الملك إذا بين كتفيه محمد رسول الله، علي وصيه، فقال رسول الله ﷺ: منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من

---

(١) الهداية الكبرى، الخصيبي(١١٤-١١٥).

قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام."[١]

- وزعموا أن الله خلق علياً لفاطمة، ويزعمون أن جعفر الصادق رحمه الله قال:" لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة، ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه."[٢]

- وزعموا أن الرسول ﷺ قال:" إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم، إلا فاطمة؛ فإن تزويجها نزل من السماء." [٣]

- وزعموا أن فاطمة رضي الله عنها كانت تفخر بأن جبريل زوجها :" أصاب فاطمة بنت رسول الله ﷺ صبيحة العرس رعدة، فقال لها رسول الله ﷺ:((يا فاطمة إن الله زوجك سيداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة إنه لما أردت أن أملكك بعلي أمر الله عز وجل جبريل ، فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفاً، ثم خطب عليهم جبريل فزوجك من علي، ثم أمر شجر الجنان فحملت من الحلي والحلل، ثم أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذ أكثر مما أخذ صاحبه أو أحسن فخر به إلى يوم القيامة)). قالت أم سلمة: فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حين كان أول من خطب عليها جبريل عليه السلام ."[٤]

وحكاية احتفال السماء بزواج فاطمة رضي الله عنها ومهرها موجودة أيضاً في المراجع الشيعية الإمامية الإثنا عشرية[٥]، والحديث الذي تحتج به الباطنية والشيعة على أمر الله بتزويج فاطمة من علي رضي الله عنها لا أصل له، وهو موضوع مكذوب، نص على ذلك العقيلي في الضعفاء الكبير[٦]، وابن الجوزي في الموضوعات[١]، والذهبي في

---

(١) الكافي، الكليني(١/٤٦٠-٤٦١)، الطبعة الرابعة١٤٠١، الناشر دار صعب ودار التعارف في بيروت.

(٢) الكافي، الكليني(١/٤٦١).

(٣) بحار الأنوار، المجلسي(٤٣/١٤٥).

(٤) بحار الأنوار، المجلسي(٤٣/١٣٩).

(٥) انظر: بحار الأنوار، المجلسي(٤٣/٩٢-١٤٥).

(٦) (٣/١١٤).

ميزان الاعتدال [٢]، وابن حجر في لسان الميزان[٣]، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة [٤]، والألباني في سلسلة الاحاديث الضعيفة[٥].

ونلحظ من مجموع النصوص التي تحتج بها الباطنية والشيعة من قبلهم، أنها وضعت لتأييد معتقدهم في الإمامة، وتوطئة له، فإذا كانت فاطمة رضي الله عنها كما ذكرنا في المبحث السابق نشأت من ثمار الجنة، وهي معظمة، وذات هيكل نوراني، واختار الله لها زوجها، وهذا الزوج معظم عند الله أكثر منها، ولعظم قدرهم احتفلت السماء بزواجهم، ونشأ عنهم الذرية المباركة كما سنذكره لاحقاً، فإن هذه الأسرة المباركة هي التي تستحق الإمامة وحدها، وبها تنحصر، وهكذا سنجد في كل مبحث يتعلق بحياة فاطمة رضي الله عنها ما يؤيد هذا المعتقد، ويدل عليه من الأحاديث والآثار الموضوعة.

وأما ما يتعلق بذريتها فتذكر المصادر الباطنية أن فاطمة رضي الله عنها لها من الأبناء : الحسن، الحسين، زينب، أم كلثوم، محسن، و من عجائب الغلو الباطني ما تزعمه المصادر الباطنية أن الحسن والحسين رضي الله عنها ولدتهما فاطمة من فخذها الأيمن، وزينب وأم كلثوم من فخذها الأيسر، لأن الأئمة منزهين أن يخرجوا من مخارج الأولاد، ويبررون هذا بحدوث شبيهه مع مريم عليها السلام:" ومثله ما روي عن وهب بن منبه أن مريم ولدت عيسى صلوات الله عليه من فخذها الأيمن، وأن النفخة كانت من جيبها، والكلمة على قلبها" [٦] .

ويروون عن محمد الباقر رحمه الله كيفية أخرى لولادتهم فيزعمون أنه قال:" واعلم

---

(١) (٤١٥/١-٤١٨).

(٢) (٦٧١/٢).

(٣) (٧٧/٤)،(١٦٣/٥).

(٤) (٣٦٢/١-٣٦٤).

(٥) (٣٢٣/٤)، الطبعة الأولى١٤١٢، الناشر دار المعارف في الرياض.

(٦) الهداية الكبرى، الخصيبي(١٨٤).

يا خالد بن زيد أن الحسن والحسين ولدا فاطمة عليهم السلام أمير المؤمنين عليهم جميعا السلام، ولكنهما خرجا من غير مخارج الأولاد، خرج أبو محمد الحسن من الجنب الأيسر، وخرج الحسين أبو عبدالله من الجنب الأيمن، بلا حال من أحوال النساء، ولا سبب كرهته فاطمة عليها السلام"[1].

ولأن قولهم من مستبعدات العقول فقد جعلوا له نظرة باطنية لها علاقة بمعتقدهم في الإمامة : "إن كلام أولياء الله عليهم السلام صعب مستصعب لا يحمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقوله علينا سلامه_يقصدون الباقر_: أن الحسن والحسين ولدا فاطمة من أمير المؤمنين فذلك القول الحق الذي لا مرية فيه ولا شك يعتريه، إذ هما ولداها في الجسمانية والروحانية، لكونهما حجة الوصي، وحجة المقام الأعظم، الذي جل عن الشبه، والمثل. وقوله علينا سلامه: أنهما خرجا من غير مخارج الأولاد، وذلك يريد به غير مخارج الجسم المنشأة من الدم، واللحم، إلى قوله عليه السلام: لأن رتبتهما الحاصلة لهما هي غير والدة ولا مولودة، وهي رتبة الاستيداع لمولانا الحسن، ورتبة الاستقرار لمولانا الحسين، وذلك النور الذي انقسم بينهما قسمين، وتلك الرتب الشريفة هي التي لم تأزها الأرحام، ولا احتاجت إلى مادة الغذاء من الثمرات والطعام، فالجنب الأيسر الذي حصل منه مولانا الحسن هو الظاهر، ومعاني الشريعة والتأويل، والولاية التي ارتقى العاملون بها، والعارفون لها إليه، وأما مولانا الحسين فهو كان خروجه وحصوله من الجنب الأيمن الذي هو التأويل، والحقيقة، والعلوم الباهرة، وهو الماء المحيي المستقر في قرارة المنافع الظاهرة منه كالبذور الدينية، والصور الشريفة العالية القدسية، وهذا هو عدل الله تعالى، لأن لا يضيع ولا يبطل عمل عامل من ذكر أو أنثى، وهو جنب الدين الأيمن المنزلة عليه وعلى عقبه ببقاء الكلمة فيهم إلى يوم

---

(1) زهر المعاني، إدريس القرشي،(١٨٠)، وهذه الرواية لم يذكر لها الخصيبي سنداً، وابتدأها بصيغة التضعيف: رُوي، ووهب بن منبه هو أبو عبد الله اليماني، ولد في آخر خلافة عثمان، وكان ثقة، صادقاً كثير النقل من الاسرائيليات، توفي سنة١١٤هـ، للاستزادة انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد(٦/٧٠-٧١)، الطبعة الأولى١٤١٠،الناشر دار الكتب العلمية في بيروت.

الدين."[١]

ولعظم رتبة الحسن والحسين فإن" هاتان الرتبتان لم يلدا ولم يولدا، ولم يغذيا بدم الطمث، ولم يخرجا من رحم، ولا ضمهما جسم، ولا لحقهما حال من أحوال النساء الطارئة عليهن في الولادة، ولا بسبب كرهته فاطمة عليها السلام، بل ظهرا بحسب ما قدر لهما صاحب الإرادة."[٢]

وزعموا أن فاطمة رضي الله عنها كرهت الحمل بالحسين ﷺ، وأن الله ﷻ هنأ النبي ﷺ بحمل الحسين وولادته، وعزاه بقتله ومصيبته، فعرفته فاطمة فكرهت حمله وولادته، فأنزل الله تعالىٰ في كتابه العزيز:(حملته أمه كرها ووضعته كرها)[الأحقاف:١٥][٣] .

وزعموا أن للحسن والحسين ناسوتاً كما زعموا ذلك لفاطمة رضي الله عنها:" وأما قوله_يقصد الباقر_ هما شبهان أرضيان، فذلك من حيث ظهرا بناسويتهما في الأرض، لهداية من اتصل بهما من أتباع الرسول القائمين بالسنة والفرض، وإنما كان ظهور أولياء الله بالاشباح والنواسيت للعالم، لأنهم ينظرونهم، ويهتدوا بهم"[٤].

وجاء في الهفت المنسوب زوراً لجعفر الصادق:" أول العجب أن أمهات الأوصياء ذكور لا إناث، قال المفضل الجعفي: يا مولاي سبحان الله كيف ذلك؟ قال الصادق عليه السلام: إن الملائكة هم في صورة النساء، ثم قرأ:(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) [الزخرف:١٩] أتدري يا مفضل من عني بهذا؟ قلت: لا يا مولاي، قال: يعني بذلك فاطمة... يا مفضل إن الناس يظنون أن أمهات الأوصياء يلدن، أما قرأت سورة: (لا أقسم بهذا البلد– وأنت حل به١١ البلد– ووالد وما ولد– لقد خلقنا الإنسان في كبد) [البلد١–٤] إن لهذه الآية باطناً، أتراه والداً أو مولوداً، أم أنه والد ولا مولود،

---

(١) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٨٠– ١٨١).

(٢) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٨١).

(٣) الهداية الكبرىٰ، الخصيبي(٢٠٢).

(٤) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٨٢).

وكيف يكون مولوداً وتعالى يقول: (وماولد)... قال المفضل يا مولاي، هذه الآية خاصة بالأوصياء وحدهم، أم إلى سائر الناس؟ قال الصادق: في الأوصياء خاصة" " [١].

وتدعي الباطنية أن أركان العرش أربعة: محمد، علي، الحسن، الحسين، فيزعمون أن جعفر الصادق رحمه الله قال في تأويل قوله تعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام) [الأعراف:٥٤] العرش في الباطن أربعة أركان أي أربعة أشخاص، فالركن الأول هو محمد ﷺ، والركن الثاني أمير المؤمنين، والركن الثالث الحسن، والركن الرابع الحسين... ومعنى: (وأنزلنا من السماء ماءاً طهورا) [الفرقان:٤٨] هو العلم طهره الله وخص به أوليائه وأنبيائه وأصفياءه، ليحي به بلدة ميتاً، ونسقي بهذا العلم الباطن أولياء نعمتنا وأي نعمة أعظم من هذا العلم."[٢] .

ومن غلوهم في الحسين ﷺ ما زعموا أنه" أظهر الحسين عليه السلام من المعجزات في مشهده ما عرفه الموالف والمخالف، وقد قال النبي ﷺ:(بورك لولدي الحسين في ثلاثة: في ولده، وقبره، ومشهده). أما ولده فكون الإمامة جرت فيهم، وانقطعت حقيقتها من غيرهم، فاتسقت في عقبه الطاهر، وورثها الأول عن الآخر، وأما قبره فإن المعروف عند الخاصة والعامة ما لزائره من الفضل العظيم المشهور، والأجر الكريم المذحور، فقد ذكر أهل العلم أنه إذا أخذ شيء من تربته وجعل في بيت، أو في قماش، سافر وما نهب القماش أو سرق، فإنه يعود إلى صاحبه ومالكه، ومن كان لا يعيش له ولد، وأخذ من التربة وزن حبة بن وسقى المولود، وذلك بالماء ثلاثة أيام عاش المولود" [٣].

وزعموا أن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ كما نص عليه القرآن، بل هي عندهم تتوارث، فمما ذكر عندهم أنه "لما أفضى الأمر إلى مولانا الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قام بنص أبيه وجده عليه، وتسليمهما الأمر إليه... فسلك طريق

([١]) الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، رواية المفضل الجعفي(٨٧-٨٨)، الطبعة الثانية١٩٧٧، الناشر دار الأندلس في لبنان.

([٢]) الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، رواية المفضل الجعفي(٧٩).

([٣]) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٨٤).

الستر والتقية، لأنه في ابتداء الروحانية ممثول السلالة مقابل لآدم، أو لابتداء الستر والشريعة، فلزم كهف التقية، وغصب معاوية حقه، فصبركما صبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قبله، وقام بالنبوة والرسالة مقام نبي الله المصطفي ﷺ، وهدى إلى شريعة الإسلام، وحفظ وديعته، ووفي بأمانته حتى دس معاوية اللعين ابنة الأشعث لعنها الله فسقته السم، فأحضر كبراء أهل دعوته، وخلصاء شيعته، وعرفهم بمقام أخيه الحسين عليه السلام ودرجته الرفيعة، وسلم إليه ما استودع له من الوديعة، وأدى إليه النبوة والرسالة، وصارت المراتب الأربع في الحسين: النبوة، الرسالة، الوصاية، والإمامة"[١].

ومن شنيع شركهم زعمهم أن الله احتجب في الحسين تعالى الله عن ذلك، فيزعمون أن المفضل الجعفي سأل جعفر الصادق عن قصة مقتل الحسين رضي الله عنه، فقال:" يا مفضل هذا سر من أسرار الله أشكله على الناس، فعرفوه خاصة أولياءه وعباده المؤمنون المختصون من خلقه... إن الإمام يدخل في الأبدان طوعاً وكرهاً، ويخرج منها إذا شاء طوعاً وكرهاً كما ينزع أحدكم جبته وقميصه بلا تكلف ولا ريب، فلما اجتمعوا إلى الحسين ليذبحوه، خرج من بدنه ورفعه الله إليه، ومنع الأعداء منه... وإن الحسين لما خرج من العراق وكان الله محتجب به، وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه إلا ويأتيه جبريل فيحدثه حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه واصطفت فيه الخيول لديه وقام الحرب، حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل وقال له : يا أخي من أنا؟ قال: أنت الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم والمميت والمحيي، أنت الذي تامر السماء فتطيعك، والأرض فتنتهي لأمرك، و والجبال فتجيبك، والبحار فتسارع إلى طاعتك، وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار..." [٢]، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وإذا جئنا لاعتقادهم في الحسن والحسين رضي الله عنها نجد أنهم رفعوهما إلى منزلة

---

(١) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٨٣).

(٢) بتصرف: الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، رواه المفضل الجعفي(٩٦-٩٧).

الإلهية، وهذا غلو عظيم في حق آل البيت، وتقصير شديد في جانب التوحيد وحرمة الشرك، وهو ليس بعيداً عن قول اليهود والنصارى من قبل: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)[التوبة:٣١]، وقولهم بالجانب الناسوتي للحسن والحسين، ورتبتهما غير الوالدة ولا مولودة، واحتجاب الله في الحسين تعالى الله عن ذلك هو من الشرك الذي حرمه الله تعالى ولا يغفره فقال: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء:٤٨]، وهذا الغلو في المحبة نص القرآن على تحريمه، وذكر حال أتباعه:(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) [البقرة:١٦٥]، يقول ابن كثير رحمه الله:" ذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومالهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء، يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له، ولا ند له، ولا شريك معه" (١) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال:(أن تجعل لله نداً وهو خلقك)(٢).

وإذا كانوا يزعمون أن الدين لا يكون إلا بطاعة علي والأئمة من ذريته، وأن " الإمامة في آل بيت رسول الله ﷺ من نسل علي وفاطمة فرض من الله سبحانه، أكمل به الدين، فلا يتم الدين إلا به"(٣)، فإن النصوص القرآنية نصت على أن النبوة قد ختمت، والدين كمل، وقد بلغه الرسول على أكمل وجه، فقال تعالى:(اليوم أكملت

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٣٤٦/١)، الطبعة الأولى١٤١٩، الناشر دار الكتب العلمية في بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى:(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله)، حديث رقم٤٤٧،(١٨/٦)، الطبعة الأولى١٤٢٢، الناشر دار طوق النجاة في بيروت، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، حديث رقم٨٦،(٩٠/١)، بدون طبعة، الناشر دار إحياء لاتراث العربي في بيروت.

(٣) تاج العقائد ومعدن الفوائد، للداعي الإسماعيلي علي بن محمد الوليد(٦٥)، الطبعة الثانية١٤٠٣، الناشر مؤسسة عز الدين في بيروت.

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة:٣]، فإن كنتم تؤمنون بالقرآن فبيننا وبينكم هذا النص، فإن لم تؤمنوا به فلا فائدة من النقاش معكم، لأن القرآن أصل، والإمامة فرع، ومن جحد الأصل فلا فائدة من مناقشة الفرع معه!.

هذا مجمل اعتقادهم بالحسن والحسين، أما بنات فاطمة وعلي ﷺ زينب وأم كلثوم فلم أقف على الكثير مما يتعلق بهم، وذلك لأن الاهتمام عند الباطنية منصب على الإمامة وانتقالها، ومن أبرز ما ذكر في حق زينب وأم كلثوم رضي الله عنها هو ولادتهما من الفخذ الأيسر لفاطمة رضي الله عنها [1] ، وذلك لأن أمهات الأوصياء لا يلدن بزعمهم، وهذا قول غال شاذ مخالف للطبيعة البشرية، وقد ثبت حضور بعض النساء المولدات عند فاطمة رضي الله عنها عند ولادتها للحسن والحسين، فلم لم يذكرن هذا القول الشاذ؟ والذي لو كان حقاً فلن يدعن قوله لكونه من الغرائب التي لا ينساها الإنسان.

وأما محسن فيزعمون أنه سقط أسقطته فاطمة رضي الله عنها ، ويتوسلون به ، ويسمونه بالسر الخفي كما ورد في كتاب المجموع النصيري في السورة الرابعة عشر المسماة بالبيت المعمور:" والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع... أما البيت فهو السيد محمد، وسقف البيت أبو طالب، وأرض البيت فاطمة بنت أسد، وأربع أركان البيت هم محمد وفاطر والحسن والحسين، سر الزاوية الغامضة الخفية التي في نصف البيت هي محسن سر الخفي"[2]، وأهل السنة يثبتون ولادة محسن ولكنه مات صغيراً، فقد جاء في مسند البزار ما يثبت ذلك :((ثقل ابن لفاطمة فبعثت إلى النبي ﷺ تدعوه فقال: ارجع فإن لله ما أخذ وله ما أبقى وكل أجل بمقدار، فلما احتضر بعثت إليه، فقال لنا: قوموا، فلما جلس جعل يقرأ: (فلولا إذا بلغت الحلقوم) [الواقعة: ٨٣] الآيات، حتى قبض فدمعت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله

([1]) الهداية الكبرى، الخصيبي(١٨٠).

([2]) المجموع النصيري(١٩٧).

تبكي وتنهى عن البكاء؟ فقال: إنما هي رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"[1]، وعلق على هذا ابن حجر فقال:" فتعين أن يكون الابن محسناً فإن فاطمة لم تلد من علي من الذكور غير ثلاثة ولم يمت في عهد النبي ﷺ غيره" [2]، وقد ذكر بعض أهل السنة محسناً عند حديثهم عن ذرية فاطمة رضي الله عنها ، والحديث السابق يشهد بأنه مات صغيراً على زمن الرسول ﷺ ، أما فرق الباطنية ومن قبلها الشيعة فيزعمون أن فاطمة رضي الله عنها تعرضت لإسقاطه من قبل بعض الصحابة عندما طالبت بحقها من الإرث بعد وفاة أبيها ﷺ، وهو ما سنتحدث عنه في المطلب التالي.

المطلب الثالث: دعوى الظلم الذي تعرضت له بعد وفاة النبي ﷺ، والرد عليه.

لا تدع الباطنية –ومن قبلها الشيعة– حدثاً يمر إلا وتجعل للإمامة فيه رابطاً، ولو أدى ذلك إلى الافتراء، وحكاية ما تعلم العقول تناقضه وفساده، وكل ذلك لأنهم لما ادعوا حصر الإمامة في آل البيت، وجعلوا لها قواعد وأسساً من عقولهم، اضطروا إلى وضع النصوص، أو تأويلها حتى تتناسب مع ما يزعمون، ولكي يكون ذلك أكثر تأثيراً عند العوام إذا كان له سند من كتاب الله، أو سنة رسوله، أو قول لأحد كبار آل البيت.

وعند الرجوع للمصادر الباطنية نجد أنها تتبع الشيعة في حكاية الظلم الذي وقع على فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها ﷺ، وغصبها ميراثها، وضربها كما يدعون، فتذكر مصادرهم أن فاطمة لما حضرتها الوفاة أوصت بعدم الصلاة عليها _ماعدا زوجها

---

(١) مسند البزار، حديث رقم٩٨٠٢،(١٧٩/١٧)، وقد علق البزار على الحديث قائلاً:" وهذا الحديث لا نعلم رواه عن عمارة ، عن أبي زرعة، إلا إسماعيل بن مسلم، وإسماعيل قد روى عنه الأعمش ، والثوري وجماعة على أنه ليس بالحافظ، وقال الهيثمي:" رواه البزار، وفيه إسماعيل بن موسى المكي، وفيه كلام، وقد وثق"، انظر: مجمع الزوائد(١٨/٣)، طبعة١٤١٤، الناشر مكتبة المقدسي في القاهرة.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري(٢٦٩/١)، وهناك رواية أخرى ذكرت أن زينب بنت رسول الله أرسلت إليه أن بنتاً لها أو صبياً قد قبض، وهذا فيه نظر، لأن علي ابن زينب دخل مع النبي يوم فتح مكة وقد راهق، ومن كان هذا شأنه لا يقال فيه صبي، وأما أمامة بنتها فقد عاشت حتى تزوجها علي ﷺ بعد وفاة فاطمة، وفي أحد الرويات ذكر أن اسم المتوفى أميمة، فإن كانت أميمة غير أمامة فيحتمل أنها المقصودة، للاستزادة انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري(٢٦٩/١).

وابنيها_ وقالت:" لا يصلي علي أمة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين بعلي وظلموني وأخذوا وراثتي وحرقوا صحيفتي التي كتبها أبي بملك فدك والعوالي وكذبوا شهودي وهم والله جبريل وميكائيل وأمير المؤمنين وأم أيمن، وطفت عليهم في بيوتهم وأمير المؤمنين عليهم السلام وعليه يحملني ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم يذكرهم بالله ورسوله لئلا يظلموننا ويعطونا حقنا الذي جعله الله لنا، فيجيبون ليلا ويقعدون عن نصرتنا نهارا ثم ينفذون إلى دارنا قنفذا ومعه خالد بن الوليد ليخرجا ابن عمي إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة ولا يخرج إليهم متشاغلاً بوصاة رسول الله صلى الله عليه وآله وأزواجه وتأليف القرآن وقضاء ثمانين ألف درهم وصاه بقضائها عنه عدات ودينا، فجمعوا الحطب ببابنا وأتوا بالنار ليحرقوا البيت فأخذت بعضادتي الباب وقلت: ناشدتكم الله وبأبي رسول الله ﷺ أن تكفوا عنا وتنصرفوا، فأخذ عمر السوط من قنفذ مولى أبي بكر، فضرب به عضدي فالتوى السوط على يدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فرده علي وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تستعر، وصفق وجهي بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم فهذه أمة تصلي علي، وقد تبرأ الله ورسوله منها وتبرأت منها" [١].

وعندما بحثت الباطنية عن نص يؤيد قولهم لم يجدوا، فعمدوا إلى التأويل وتفسير النصوص حسب هواهم، بعيداً عن إجماع المفسرين، أو ما تواترت به لغة العرب، وتولى ذلك داعيتهم جعفر بن منصور اليمن حيث فسر سورة الفجر تفسيرا يؤيد هذه الدعوى، وملأه سباً في الصحابة، وظلماً لهم، فقال:" (وتأكلون التراث أكلا لما)[الفجر:١٩] الخطاب لقوم بأعيانهم لعنهم الله لأنهم أكلوا ميراث السيدة فاطمة عليها السلام، ومنعوها فدك، واستحلوا قطيعة رحمها في الظاهر، ووثبوا على مكانها الذي جعله الله لها في الباطن فأخذوه غصباً وابتزازاً، وقوله (لما) يعني أكلاً يحيط بكل

---

(١) الهداية الكبرى، الخصيبي(١٧٨-١٧٩).

شيء ويجمعه، لأن الظلمة منعوا فاطمة صلوات الله عليها ميراثها كله في الدين و الدنيا، فقالوا: الأنبياء لايورثون. وقد قال الله تعالى: (وولاث سليمان داوود) [النمل:١٦]، وقال عن قول زكريا: (فهب لي من لدنك وليا) [مريم:٥] فخالف هؤلاء الظلمة قول الله ﷻ وسنته في أنبيائه، ألا لعنة الله على الظالمين من الأولين والآخرين، ومنعوها أيضاً وراثة الدين في الإمامة التي فرضها الله لها وذريتها إلى أن تقوم الساعة"[١] ، وقد قدم لهذا الافتراء وأتبعه بالسب العظيم في الصحابة، وخصوصاً أبو بكر وعمر وعثمان، وفسر الآيات بحيث تكون قاذفة لهم، ومبينة لقبح فعلهم حسب زعمه.

ونظراً لاعتقادهم بأن فاطمة رضي الله عنها لها جانب ناسوتي ذو صبغة بشرية فتأكل وتشرب ويقع عليها الآلام، وجانب إلهي منزه عن ذلك، فإن ما وقع لها من هذا الظلم والألم كان على الجانب الناسوتي منها، أما حقيقتها فمنزهة عن ذلك، فزعموا أن محمد الباقر رحمه الله قال:" وكذلك فاطمة عليها السلام جميع ما نزل من المصائب والأشياء المنكرة كان على الخيال وهو الستر، ولابد لكل ناطق، وكل أساس، وكل حجاب من ستر يستر عليه"[٢] وعلق على هذا داعية الإسماعيلية إدريس القرشي قائلاً:" قوله ؑ أوضح فيه ما ذكرناه من كون ما وقع عليهم صلوات الله عليهم من الآلام،، هو واقع بنواسيتهم الشريفة التي هي أفضل الأجسام، فأما اللطائف فهي بعيدة لا تدرك ولا ترام" [٣].

وإذا جئنا لأصل الحادثة فإن الحديث الذي احتج به أبو بكر ؓ حديث صحيح، فقد جاء في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث في روايات متعددة، وشهد كبار الصحابة على ذلك منهم: أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، عبدالرحمن بن عوف، الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص،

---

(١) الكشف، جعفر بن منصور اليمن(٧٠).

(٢) زهر المعاني، إدريس القرشي(١٨٠).

(٣) بتصرف: زهر المعاني، إدريس القرشي(١٨٠).

عبدالله بن عباس ﷺ وهؤلاء أعيان الصحابة وكبرائهم ممن لا يصدر الكذب منهم، وأغلبهم من العشرة المبشرين بالجنة، فكيف يتفق هذا الجمع المبارك على الكذب؟.

وإذا تتبعنا روايات الحديث الصحيحة تتضح لنا الصورة كاملة، وأبرز الروايات التي لها دلالة وارتباط بموضوعنا هي:

١- جاء في صحيح البخاري ومسلم أن علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنها أتيا إلى عمر ﷺ يسألانه نصيبهما من تركة رسول الله ﷺ بعد وفاة أبي بكر ﷺ، فعن مالك بن أوس الحدثان أن عمر بن الخطاب ﷺ دعاه، إذ جاءه حاجبه يرفا، فقال: هل لك في عثمان، وعبد الرحمن، والزبير، وسعد يستأذنون؟ فقال: نعم فأدخلهم، فلبث قليلا ثم جاء فقال: هل لك في عباس، وعلي يستأذنان؟ قال: نعم، فلما دخلا قال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا، وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله ﷺ من بني النضير، فاستب علي، وعباس، فقال الرهط: يا أمير المؤمنين اقض بينهما، وأرح أحدهما من الآخر، فقال عمر: اتئدوا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: ((لا نورث ما تركنا صدقة)) يريد بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل عمر على عباس، وعلي فقال: أنشدكما بالله، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: نعم، قال: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله سبحانه كان خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره، فقال جل ذكره: (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) [الحشر:٦] فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، ثم والله ما احتازها دونكم، ولا استأثرها عليكم، لقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال منها، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل ذلك رسول الله ﷺ حياته، ثم توفي النبي ﷺ، فقال أبو بكر: فأنا ولي رسول الله ﷺ، فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل به رسول الله ﷺ، وأنتم حينئذ، فأقبل على علي، وعباس وقال: تذكران أن أبا بكر فيه كما تقولان، والله يعلم: إنه فيه لصادق بار راشد تابع للحق؟ ثم

توفي الله أبا بكر، فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ، وأبي بكر، فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيه بما عمل فيه رسول الله ﷺ، وأبو بكر، والله يعلم: أني فيه صادق بار راشد تابع للحق؟ ثم جئتماني كلاكما، وكلمتكما واحدة وأمركما جميع، فجئتني – يعني عباسا – فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ، قال: ((لا نورث ما تركنا صدقة)) فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعته إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه: لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت، وإلا فلا تكلماني، فقلتما ادفعه إلينا بذلك، فدفعته إليكما، أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنه فادفعا إلي فأنا أكفيكماه،" [١]، وقد قال بعض العلماء بأن علي و عبدالله ابن عباس رضي الله عنها سألا عمر الولاية على تلك الأموال_ وهي أموال صدقة النبي ﷺ وليست ميراثه، قال أبو داوود رحمه الله مبينا أن هدفهما من السؤال أن يقسما التصرف فيها بينهما:" إنما سألاه أن يكون يصيره بينهما نصفين، لا أنهما جهلا أن النبي ﷺ قال: ((لا نورث ما تركنا صدقة)) فإنهما كانا لا يطلبان إلا الصواب" [٢]، وقد بين هذا النووي رحمه الله ذلك فقال:" وأما الاعتذار عن علي والعباس رضي الله عنها في أنهما ترددا إلى الخليفتين مع قوله ﷺ: ((لا نورث ما تركناه فهو صدقة)) وتقرير عمر رضي الله عنه أنهما يعلمان ذلك، فأمثل ما فيه ما قاله بعض العلماء أنهما طلبا أن يقسماها بينهما نصفين ينفقان بها على حسب ما ينفعهما الإمام بها لو وليها بنفسه، فكره عمر أن يوقع عليها اسم القسمة لئلا يظن لذلك مع تطاول الأزمان أنها ميراث وأنهما ورثاه لا سيما

([١]) أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم ٤٠٣٣،(٥/٨٩)، وأخرجه البخاري بزيادة (ثم جئتماني وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع جئتني تسألني نصيبك من ابن أخيك، وأتى هذا يسألني نصيب امرأته من أبيها)، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ:(لانورث ماتركنا صدقة)، حديث رقم ٦٧٢٨،(٨/١٤٩).

([٢]) ذكره أبو داود في سننه، في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال، حديث رقم٢٩٦٣،(٣/١٣٩).

وقسمة الميراث بين البنت والعم نصفان فيلتبس ذلك ويظن أنهم تملكوا ذلك" [١]، وإذا نظرنا للرواية الثانية نجد النص صريحاً في أنهما طلبا نصيبهما من الميراث: (ثم جئتماني وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع جئتني تسألني نصيبك من ابن أخيك، وأتى هذا يسألني نصيب امرأته من أبيها)[٢]، وقد بين هذا ابن حجر رحمه الله فقال:" أصل القصة صريح في أن العباس وعلياً قد علما بأنه ﷺ قال: ((لا نورث)) فإن كانا سمعاه من النبي ﷺ فكيف يطلبانه من أبي بكر، وإن كانا إنما سمعاه من أبي بكر أو في زمنه بحيث أفاد عندهما العلم بذلك فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر، والذي يظهر والله أعلم حمل الأمر في ذلك على ما تقدم في الحديث الذي قبله في حق فاطمة وأن كلاً من علي وفاطمة والعباس اعتقد أن عموم قوله: ((لا نورث)) مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض، ولذلك نسب عمر إلى علي وعباس أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما في ذلك" [٣].

فالحديث الذي تزعم الباطنية أن أهل السنة ابتدعته هو حديث صحيح ثابت من طرق عدة، وبشهادة كبار الصحابة أيضاً، ومنهم علي ﷺ، واختصاص النبي بهذه الخصيصة أخذ طابع الإجماع، حتى قال ابن تيمية رحمه الله:" ومعلوم أن له خصائص كثيرة خص بها عن أمته، وأهل السنة يقولون: من خصائصه أنه لا يورث، فلا يجوز أن ينكر اختصاصه بهذا الحكم إلا كما ينكر اختصاصه بسائر الخصائص، لكن للإنسان أن يطالب بدليل الاختصاص، ومعلوم أن الأحاديث الصحيحة المستفيضة، بل المتواترة عنه في أنه لا يورث، أعظم من الأحاديث المروية في كثير من خصائصه، مثل اختصاصه بالفيء وغيره". [٤]

٢- الحديث الثاني ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:" أن أزواج النبي

([١]) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي(٧٣/١٢).

([٢]) سبق تخريجه في الحديث السابق.

([٣]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر(٢٠٧/٦).

([٤]) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(٢٠٧/٤).

ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ، أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله ﷺ: ((لا نورث، ما تركنا صدقة))" [١]، وهنا يتضح لنا أن هذا الحديث قد خفي على البعض من الصحابة في ذلك الوقت، وإن كان كبارهم قد تلقوه من الرسول ﷺ، وممن خفي عنهم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فلما علمن بالحديث سلمن ورضين، وأما فاطمة رضي الله عنها فلعلها كما ذكرنا سابقا لم تكن تعلم عن ذلك الحديث، أو أنها علمت به ولكنها ظنت أنه خاص ببعض المال دون بعض[٢]، وهنا يتضح أمانة أبي بكر ﷺ، فإنه لم يخص بالمنع فاطمة والعباس رضي الله عنها، بل حتى أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، فلو كان في الأمر محاباة لكان أولى من يحابيه ولده، فلما لم يحابيها، ولم يعطها شيئاً، علمنا أنه ﷺ ثبت على الحق، ولم يخش فيه لومة لائم[٣].

٣- الحديث الثالث ورد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة نسائي، ومئونة عاملي فهو صدقة)) [٤]، وهذا التحريم للقسمة فيه احتراز من أن ينسب إلى مقام النبوة مالا يليق به من متاع الدنيا، وفي هذا الشأن يقول ابن بطال رحمه الله في بيان الحكمة من تحريم الصدقة على آل محمد ﷺ:" ووجه ذلك والله أعلم أن لما بعثه الله إلى عباده، ووعده على التبليغ لدينه والصدع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ:((لا نورث ما تركنا صدقة))، حديث رقم ٦٧٣٠،(١٥٠/٨)، وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ:((لا نورث ما تركنا فهو صدقة))، حديث رقم١٧٥٨،(١٣٧٩/٣).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال(٢٥١/٥)، الطبعة الثانية١٤٢٣، الناشر مكتبة الرشد في الرياض.

(٣) انظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، الهيثمي(٩٨/١)، الطبعة الأولى١٤١٧، الناشر مؤسسة الرسالة في بيروت.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ:((لا نورث ما تركنا صدقة))، حديث رقم٦٧٢٩،(١٥٠/٨). وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الجهاد والسير، باب باب قول النبي ﷺ:((لا نورث ما تركنا فهو صدقة))، حديث رقم١٧٦٠،(١٣٨٢/٣).

بأمره الجنة، وأمره ألا يأخذ منهم على ذلك أجرا ولا شيئاً من متاع الدنيا بقوله تعالى: (قل ما أسئلكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا)[الفرقان:٥٧] وكذلك سائر الرسل في كتاب الله كلهم تقول: لا أسألكم عليه مالاً ولا أجراً إن أجرى إلا على الله، وهو الجنة. أراد ﷺ ألا ينسب إليه من متاع الدنيا شيء يكون عند الناس في معنى الأجر والثمن. فلم يحل له شيء منها؛ لأن ما وصل إلى المرء وأهله فهو واصل إليه، فلذلك والله أعلم حرم الميراث على أهله لئلا يظن به أنه جمع المال لورثته، كما حرمهم الصدقات الجارية على يديه في الدنيا لئلا ينسب إلى ما تبرأ منه في الدنيا، وفي هذا وجوب قطع الذريعة."[١]، وقد كان الخلفاء الراشدون قائمين بحق زوجات النبي ﷺ، و ممتثلين لهذا الحديث، فقد ورد عن أبي بكر ﷺ أنه كان يقول:" ارقبوا محمداً ﷺ في بيته" [٢]، وكذلك احتفي الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ بآل البيت و"كان يقدمهم في العطاء على جميع الناس، ويفضلهم في العطاء على جميع الناس، حتى أنه لما وضع الديوان للعطاء، وكتب أسماء الناس، قالوا: نبدأ بك؟ قال: لا ابدأوا بأقارب رسول الله ﷺ، وضعوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ ببني هاشم، وضم إليهم بني المطلب" [٣]، فمن كان هذا شأنه في الاهتمام بآل البيت والوصية لهم، فلن يصدر عنه ما تدعيه الباطنية من غصب لحقوق آل البيت واعتداء عظيم عليهم.

٤- استمر العمل على وصية الرسول ﷺ، ولم يتغير ذلك، فعندما دفع عمر ﷺ صدقة الرسول ﷺ إلى علي ﷺ على سبيل الولاية كما تقدم استمر العمل بذلك في ذريته، فهي ولاية على الصدقة وليست ميراثاً، ويدل على ذلك قول عروة بن الزبير ﷺ:" فكانت هذه الصدقة بيد علي، منعها علي عباساً فغلبه عليها، ثم كان بيد حسن بن علي، ثم بيد حسين بن علي، ثم بيد علي بن حسين، وحسن بن حسن، كلاهما كانا

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال(٨/٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم٣٧١٣، (٥/٢٠).

(٣) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(٦/٣٣).

يتداولانها، ثم بيد زيد بن حسن، وهي صدقة رسول الله ﷺ حقاً" [١]، ولو كان الأمر كما تقول الباطنية فمالذي منع هؤلاء من أخذ الأموال بعد أن صارت بين أيديهم! وهل يترك صاحب الميراث إرثه؟.

٥- وردت قصة مطالبة فاطمة رضي الله عنها بالإرث مفصلة في الصحيحين وكتب السنن، ولم يرد ذكر للضرب الذي تزعمه الشيعة والباطنية، كما أن هجر فاطمة رضي الله عنها لأبي بكر لم يكن هجران الملتقيان يعرض أحدهما عن الآخر، فإنه لم يثبت أنهما التقيا فلما يسلما، وإنما اشتغلت فاطمة رضي الله عنها بشؤونها، ولم تصادف أبا بكر رضي الله عنها [٢]، وجاء في بعض الآثار أن أبا بكر استأذن على فاطمة رضي الله عنها قبل وفاتها، فقال علي: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له، قال: نعم، قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله، ومرضاتكم أهل البيت.قال: ثم ترضاها حتى رضيت [٣]، وإذا ثبت هذا الأثر فكل ما ادعته الباطنية فهو كذب وافتراء على الصحابة رضوان الله عليهم عموما وفاطمة رضي الله عنها خصوصاً.

٦- وردت عن بعض آل البيت ما يؤيد موقف أبي بكر ﷺ، ومن ذلك قول زيد بن علي بن الحسين بن علي: " أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر ﷺ لحكمت بما حكم به أبو بكر ﷺ في فدك." [٤] فلو كان يرى أن فدكاً من حقه في الميراث فلم قال ذلك؟.

([١]) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم٤٠٣٣،(٨٩/٥).

([٢]) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض(٨١/٦)، الطبعة الاولى١٤١٩، الناشر دار الوفاء في مصر، وفتح الباري، ابن حجر(٢٠٢/٦).

([٣]) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى(٢٢/٨)، والذهبي في السير(١٢١/٢)، وابن حجر في الفتح(٢٠٢/٦)وصححه ابن حجر ونسبه على البيهقي وقال: وهو وإن كان مرسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح.

([٤]) البداية والنهاية، ابن كثير(١٩٦/٨)، الطبعة الأولى١٤١٨، الناشر دار هجر في مصر.

٧- أما احتجاجهم بقوله تعالى: (وورث سليمان داوود) [النمل:١٦]، وقوله تعالى: (فهب لي من لدنك وليا-يرثني ويرث من آل يعقوب)[مريم:٥-٦] فهو احتجاج مردود عليهم، لأن الموروث هنا العلم والنبوة وليس المال كما يدعون، وهذا القول مشهور عند العلماء وأئمة التفسير كما قال ابن جرير الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره: (وورث سليمان داوود) [النمل:١٦] أباه داود العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والملك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه." [١]، وقال ابن عطيةرحمه الله:" وداود من بني إسرائيل وكان ملكاً وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة، بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمي ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قول:((العلماء ورثة الأنبياء))[٢] "[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً ذلك بشيء من التفصيل:" المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال، وذلك لأنه قال:(وورث سليمان داوود) [النمل:١٦]، ومعلوم أن داود كان له أولاد كثيرون غير سليمان، فلا يختص سليمان بماله. وأيضاً فليس في كونه ورث ماله صفة مدح، لا لداود ولا لسليمان، فإن اليهودي والنصراني يرث أباه ماله، والآية سيقت في بيان المدح لسليمان، وما خصه الله به من النعمة. وأيضاً فإرث المال هو من الأمور العادية المشتركة بين الناس، كالأكل، والشرب، ودفن الميت. ومثل هذا لا يُقص عن الأنبياء، إذ لا فائدة فيه، وإنما يُقص ما فيه عبرة وفائدة تستفاد، وإلا فقول القائل: "

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري(٢٤/١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب فضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم٢٢٣،(٨١/١)، بدون طبعة، الناشر دار إحياء التراث العربي في بيروت، وأخرجه الترمذي في سننه، في أبواب العلماء، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم٢٦٨٢،(٤٨/٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب العلم، باب ذكر وصف العلماء الذين لهم لفضل الذي ذكرنا قبل، حديث رقم٨٨،(٢٨٩/١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته(١٠٧٩/٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية(٢٥٣/٤)، الطبعة الأولى١٤٢٢، الناشر دار الكتب العلمية في بيروت.

مات فلان وورث ابنه ماله " مثل قوله: " ودفنوه " ومثل قوله: " أكلوا وشربوا وناموا " ونحو ذلك مما لا يحسن أن يجعل من قصص القرآن." [١].

وأما قوله تعالى: (فهب لي من لدنك وليا-يرثني ويرث من آل يعقوب) [مريم:٥-٦] فقال جماعة من العلماء أن الموروث هنا العلم، وممن قال هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير بعد أن ذكر الأقوال في الآية:" والصحيح: أنه لم يرد ميراث المال لوجوه: أحدها: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال:(نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة) .

الثاني: أنه لا يجوز أن يتأسف نبي الله على مصير ماله بعد موته إذا وصل إلى وارثه المستحق له شرعا. والثالث: أنه لم يكن ذا مال، وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أن زكريا كان نجاراً." [٢]، وقد وافقه على هذا ابن كثير[٣]، والزجاج[٤]، والسمعاني[٥]، والقرطبي[٦]، وابن تيمية [٧]، وغيرهم، والقول الآخر في هذه الآية أن الموروث هو المال، وممن قال بهذا القول ابن جرير الطبري رحمه الله فقال:"يرثني من بعد وفاتي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة" [٨]، وقد احتج ابن جرير على هذا القول بحديث الرسول ﷺ:" رحم الله أخي زكريا، ما كان عليه من ورثة ماله حين يقول: (فهب لي من لدنك وليا-

---

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(٤/٢٢٤).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج الجوزي(٣/١١٨-١٢٠)، الطبعة الأولى١٤٢٢، الناشر دار الكتاب العربي في بيروت.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٥/١٨٨-١٨٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج(٣/٣٢٠). الطبعة الأولى١٤٠٨، الناشر عالم الكتب في بيروت.

(٥) انظر: تفسير السمعاني، أبو المظفر السمعاني(٣/٢٧٨)، الطبعة الأولى١٤١٨، الناشر دار الوطن في الرياض.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(١١/٧٨).

(٧) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(٤/٢٢٤-٢٢٥).

(٨) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري(١٥/٤٥٧).

يرثني ويرث من آل يعقوب) [مريم:٥-٦] "[١]، وهذا الحديث من المراسيل فلا يحتج به كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله[٢]، وعلى فرض التسليم له فليس بين حديث(لا نورث) وهذه الآية تعارض، لأن منع التوارث من خصائص النبي ﷺ [٣]، وهذا ما أجمع عليه الصحابة والعلماء كما أسلفنا.

المطلب الرابع: جوانب الغلو الباطني فيما يتعلق بوفاة فاطمة رضي الله عنها، والرد عليه.

تربط الباطنية بين دعوى الظلم الذي تطرقنا له في المبحث السابق وبين وفاتها، ففاطمة رضي الله عنها حسب زعمهم أوصت بعدم الصلاة عليها، لغضبها ممن لم ينصرها في مسألة إرثها، ودفنت في الليل خفية، ولم يعرف مكانها أحد من الناس، وتبرز ملامح الغلو الباطني في ما يتعلق بوفاة فاطمة رضي الله عنها في أربع مسائل:

- المسألة الأولى: الادعاء بأن كفنها وحنوطها من الجنة.

فتزعم الباطنية أن فاطمة رضي الله عنها عندما حضرتها الوفاة "غمضت عينها وحفظت نفسها ومدت عليها الملاءة[٤] وقالت: يا أسماء بنت عميس إذا أنا مت فانظري إلى الدار، فإذا رأيت سجافاً[٥]من سندس الجنة قد ضرب فسطاطاً[٦] من جانب الدار، فاحمليني وزينب وأم كلثوم، وأتيا بي فاجعلوني من وراء السجاف، وخلوا بيني وبين نفسي، فلما توفيت فاطمة عليها السلام، وظهر السجاف حملتها وجعلت وراءه،

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن الحسن(١٥/٤٥٩)، وعبدالرزاق الصنعاني في تفسيره عن قتادة ومعمر(٢/٣٥١)، الطبعة الاولى١٤١٩، الناشر دار الكتب العلمية في بيروت.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٥/١٨٩).

(٣) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر(١٢/٨-٩).

(٤) الملاءة هي الملحفة، انظر: الصحاح، الجوهري(١/٧٣)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور(٩/٣١٤).

(٥) السجاف هو الباب الذي له سترين، فكل شق منه سجف، انظر: لسان العرب، ابن منظور(٩/١٤٤).

(٦) الفسطاط هو البيت الذي يصنع من الشعر، انظر: الصحاح، الجوهري(٣/١١٥٠)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور(٧/٣٧١).

فغسلت وحنطت بالحنوط[١] ،كان كافوراً[٢] أنزله جبريل عليه السلام من الجنة وثلاث صدر[٣]، فقال: يا رسول الله العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك هذا حنوطك وحنوط ابنتك فاطمة، وحنوط أخيك علي مقسوم ثلاثاً، وإن أكفانها من الجنة لأنها أمة أكرم على الله من أن يتولاها أحد غيره." [٤].

■ المسألة الثانية: أنها أوصت بعدم الصلاة عليها.

تزعم مصادر الباطنية أن فاطمة رضي الله عنها تكفنت من بعد غسلها و حنوطها، وأوصت بأن لا يصلي عليها أمة نقضت عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولم يعلم بها أحد، ولا حضر وفاتها أحد، ولا صلى عليها من سائر الناس غير علي والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، فعمل أمير المؤمنين بوصيتها، ولم يعلم بها أحداً، وأصبح الناس في البقيع ليلة دفن فاطمة عليها السلام أربعون قبراً جدداً.[٥]

■ المسألة الثالثة: الادعاء بأن أبا بكر رضي الله عنه أمر بنبش قبرها.

فتزعم مصادر الباطنية أنه "لما أصبح الناس ولم يعلموا قبر فاطمة رضي الله عنها شق ذلك عليهم وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون تموت بنت محمد، ولم يخلف ولداً غيرها ولا يصلى عليها، إن هذا الشيء عظيم، فقال علي رضي الله عنه: حسبكم ما جئتم به على الله ورسوله من أهل بيته، ولم أكن والله أعصيها في وصيتها التي وصت بها أن لا يصلي

---

(١) الحنوط هو طيب يخلط للميت، انظر: تهذيب اللغة، الأزهري(٢٢٦/٤) ، الطبعة الأولى٢٠٠١، الناشر دار إحياء التراث العربي في بيروت.

(٢) الكافور هو نبات طيب الرائحة، يطيب به الميت، انظر: لسان العرب، ابن منظور(١٤٩/٥-١٥٠).

(٣) لم أقف على معنى صدر هنا، والصدر ما يوضع على الصدر من ملبس ونحوه، وربما عني بها هنا ثلاثة أقسام، أي نزل جبريل عليه السلام بثلاثة أقسام فيها حنوط من كافور الجنة، ويشهد لهذا الرواية الأخرى في بحار الأنوار:(أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكافور من الجنة فقسمه أثلاثاً ،ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلي، وثلثاً لي_أي لفاطمة)، انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي(٤٢٣/١)، وانظر: بحار الأنوار، المجلسي(١٨٦/٤٣).

(٤) الهداية الكبرى، الخصيبي(١٧٧-١٧٨).

(٥) انظر: الهداية الكبرى، الخصيبي،(١٧٨-١٧٩).

عليها أحد منكم، وما بعد العهد غدر.

فنفض القوم أثوابهم وقالوا: لابد من الصلاة على بنت نبينا، ومضوا من فورهم إلى البقيع فوجدوا فيه أربعين قبراً جدداً، فاستشكل عليهم قبرها بين تلك القبور فضج الناس، ولام بعضهم بعضا وقالوا: لم تحضروا وفاة بنت نبيكم ولا الصلاة عليها ولا تعرفون قبرها فتزورونها، فقال أبو بكر: أتوا نساء المسلمين من ينشر هذه القبور حتى تجدوا فاطمة عليها السلام فتصلوا عليها ويزار قبرها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فخرج من داره مغضباً، وقد احمرت عيناه، ودارت أوداجه[1]، وعلى يده قباه[2] الأصفر الذي لم يكن يلبسه إلا في كريهة، يتوكأ على سيفه ذي الفقار، حتى ورد على البقيع فسبق على الناس النذير فقال لهم: هذا علي قد أقبل كما ترون يقسم بالله لئن بحث من هذه القبور حجر واحد لأضعن سيفي على غابر الأمة، فولى القوم ولم يحدثوا إحداثا "[3].

- المسألة الرابعة: التأويل الباطني لهيئة النعش الذي طلبت فاطمة من أسماء بن عميس أن تضعها فيه بعد وفاتها.

كانت فاطمة رضي الله عنها مضرب المثل في الحياء والستر، فطلبت من أسماء بن عميس رضي الله عنها أن تصنع لها نعشاً حرصاً منها رضي الله عنها على مزيد التستر، وخوفاً من أن تنكشف عندما تحمل على أعناق الرجال بعد موتها، و القصة ثابتة عند أهل السنة وترويها مصادر الشيعة والباطنية ببعض الزيادات التي تناسب اعتقادهم، فجاء في مصادرهم أنه " لما قبض رسول الله ﷺ ونالها من القوم ما نالها لزمت الفراش، ونحل جسمها حتى كان كالخيال، وعاشت بعد رسول الله ﷺ في حالها تلك

([1]) الودج هو عرق في العنق، وجمعه أوداج، انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد(٢/١٠٣٨)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور(٢/٣٩٧).

([2]) القب هي الدرع التي لا قب لها، أي لا ظهر لها، انظر: غريب الحديث، الخطابي(٢/١٩٠)، طبعة١٤٠٢، الناشر دار الفكر في دمشق، وانظر: لسان العرب، ابن منظور(١/٦٥٨).

([3]) الهداية الكبرى، الخصيبي(١٧٩-١٨٠).

سبعين يوما، فلما احتضرت قالت لأسماء بنت عميس: كيف أحمل على أعناق الرجال مكشوفة وقد صرت عظما ليس عليه إلا جلدة، وكيف ينظر الرجل إلى جثتي على السرير إذا حملت؟ قالت لها أسماء: يا بنت رسول الله، إن قضى الله عليك بأمر فسوف أصنع لك شيئا رأيته في بلد الحبشة. قالت : وما هو؟ قالت: النعش يجعلونه من فوق السرير على الميت يستره فلا يرى منه شيء، قالت لها: افعلي، فلما قبضت صلوات الله عليها صنعته لها أسماء، فكان أول نعش حمل في الإسلام"(١)

ومن المعلوم أن فاطمة رضي الله عنها إنما أرادت من صناعة النعش على ذلك الشكل مزيد الستر، ولكن الباطنية أبت إلا تجعل له باطناً وسراً، فزعموا أن " ما جاء من عمل النعش لفاطمة صلوات الله عليها لما ماتت وهو ما يستر به النساء إذا حملت على أسرة الموتى من فوقهن، ومثله في الباطن أن المستجيب إذا نقل إلى درجة فوق الدرجة التي كان فيها لم ينقل إلا في ستر وخلوة"(٢)، فهذا الستر دلالة الانتقال إلى درجة أعلى عند الباطنية.

وإذا تتبعنا ما سبق من الغلو نجد ما يلي:

١- حكاية حنوط فاطمة رضي الله عنها وأنه من الجنة، هي حكاية لا أصل لها، وليس لها سند في كتبهم.(٣)

٢- أما قولهم بأن فاطمة رضي الله عنها أوصت أن لا يصلي عليها أحداً سوى زوجها وابنيها فهذا القول لم يثبت، فقد ورد أن العباس بن عبدالمطلب صلى على فاطمة

---

(١) دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد(٢٣٢-٢٣٣)، الطبعة ١٣٨٣، الناشر دار المعارف في القاهرة.

(٢) تأويل الدعائم، للقاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد(٣٤/٢)، الطبعة الأولى١٤٢٦، الناشر مؤسسة الأعلمي في بيروت.

(٣) رجعت إلى كتاب الهداية الكبرى للخصيبي، وهو الكتاب الذي نقلت عنه الرواية فلم أجد لتلك الرواية سنداً، ووجدت في كتاب الشيعة بحار الأنوار، للمجلسي(١٨٦/٤٣) رواية مقاربة لهذه وهي أيضاً بلا سند، بدأها بقوله :" وروي أنها .." ولم يذكر من رواها، مما يدل على ضعفها.

رضي الله عنها ونزل في حفرتها هو وعلي والفضل بن العباس ﷺ أجمعين، وورد أيضاً أن أبا بكر ﷺ صلى عليها فكبر أربعا، كما ورد أن عليا ﷺ صلى عليها أيضاً [١]، وهذا يدفع ادعائهم بأنها أوصت ألا يصلي عليها غير زوجها وابنيها، ولعل الاختلاف في من صلى عليها راجع إلى أنها دفنت بليل فلم يعلم الجميع بخبر موتها، فصلى عليها البعض ليلا وصلى البعض نهارا عندما أدركه الخبر، لاسيما وأن مكان قبرها كان معلوما لهم، وليس كما تدعي الباطنية أن الناس جهلوا مكانه، فقد جاء أن الواقدي رحمه الله سأل عبدالرحمن بن أبي الموالي:" إن الناس يقولون إن قبر فاطمة عند المسجد الذي يصلون على جنائزهم بالبقيع. فقال: والله ما ذاك إلا مسجد رقية. يعني امرأة عمرته. وما دفنت فاطمة إلا في زاوية دار عقيل مما يلي دار الجحشيين[٢] مستقبل خرجة بني نبيه من بني عبد الدار بالبقيع وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع."[٣]

٣- أن القول بأن فاطمة رضي الله عنها أوصت بعدم الصلاة عليها ليس ثابتاً، وهو مما لا يحمد في الشريعة، فلو أوصى مظلوم بأن لا يصلي عليه ظالمه لم يكن فعله مما يحمد عليه، ولا مما أمر الله به ورسوله، فكيف تمدح فاطمة رضي الله عنها بما جاء الشرع بخلافه؟ ومن المعلوم أن الرسول ﷺ يصلي عليه المؤمن و المنافق، والبار والفاجر، ولم ينه أحدا من أمته من الصلاة عليه، بل أمرهم جميعا بالصلاة عليه مع علمه باختلافهم، لأن صلاتهم إن لم تنفعه لن تضره شيئا [٤].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد(٨/٢٣-٢٥)، وانظر أيضاً: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير(١٥٦٦)، الطبع الأولى١٤٣٣، الناشر دار ابن حزم في بيروت، وانظر أيضاً: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر(٨/٢٦٧-٢٦٨)، الطبعة الأولى١٤١٥، الناشر دار الكتب العلمية في بيروت.

(٢) لم أقف على من نص على المقصود بالجحشيين هنا، وربما قصد به دار بني جحش في المدينة، وبني جحش بن رئاب من القرشيين الذين أسلموا وهاجروا إلى المدينة، حتى خلت ديارهم في مكة من أهلها، ومن كبارهم الصحابي الجليل عبدالله بن جحش، انظر: السيرة النبوية، ابن هشام(١/٤٧١)، الطبعة الثانية١٣٧٥، الناشر مكتبة مصطفى البابي في مصر.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٨/٢٥)،والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر(٨/٢٦٨).

(٤) بتصرف: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(٤/٢٤٧-٢٤٨).

٤- أن دعوى محاولة نبش قبر فاطمة رضي الله عنها هي من افتراء الشيعة والباطنية، فكون قبر فاطمة رضي الله عنها كان معلوما كما أسلفنا للصحابة والتابعين في ذلك الوقت ينسف الرواية الكاذبة وينقضها، فإذا كان معلوماً لهم فما الداعي لنبشه ومحاولة التعرف عليه؟.

٥- التأويل الباطني لنعش فاطمة رضي الله عنها بأنه علامة ارتقاء المستجيب من مرتبة إلى أعلى منها، وأن من شرط ذلك ألا يكون إلا في ستر وخلوة هو من هذيان الباطنية وخرافات تأويلاتها، فمن المعلوم أن فاطمة رضي الله عنها أفضت إلى ربها وهو الكريم الرحيم، وقد بشرها الرسول ﷺ بأنها من أهل الجنة، فانتقالها من الدنيا إلى نعيم الآخرة معلوم، ولكن ليس من شرط ذلك الستر والخلوة كما يزعمون، كما أنهم يروون أخبار فضلها ومكانتها وينشرونها، فلم لم يلتزموا بالستر المزعوم هنا؟ وهل الصالحون من المسلمين الذين أفضوا إلى ربهم ولم يصنع لهم نعش مماثل لا ينتقلون إلى نعيم الآخرة! ومن أين جئتم بهذا الشرط؟ فقد توفي خير البشر ولم يصنع له نعشاً فهل نقص ذلك من انتقاله! ومن الثابت في السير أن فاطمة رضي الله عنها إنما أرادت من ذلك مزيد الستر أمام الرجال عندما تحمل على الأعناق، ونصت على ذلك، فما الداعي للتأويل هنا؟ والتقول عليها بما لم تقله!.

وبعد نهاية هذا البحث يتضح لنا أن الغلو الباطني في فاطمة رضي الله عنها شمل جميع مراحل حياتها بدءاً من ولادتها التي أحيطت بهالة من التعظيم، لكونها من ثمار الجنة كما زعموا، ومروراً بزواجها من علي رضي الله عنها واحتفال السماء بهذا، وذريتها الذين انحصرت الإمامة في نسلهم لاصطفاء الله لهم، ثم دعوى ما حل بفاطمة من الظلم بعد وفاة النبي ﷺ، والطعن في الصحابة، والحط من منزلتهم حتى يسهل قبول ما نسبوه لأئمتهم من الكذب والبهتان، وأخيراً وليس آخراً حكاية وفاة فاطمة رضي الله عنها التي نسجت حولها الكثير من المطاعن على الصحابة، وأنهم السبب في مرض موتها، و إخفاء مكان قبرها خوفاً من نبشهم له، وتصوير مجتمع الصحابة الطاهر الذي عاصر النبي ﷺ وجاهد معه بأبشع الصور، والمبالغة الكاذبة في تصوير مظلومية فاطمة رضي الله عنها،

حتى يسهل بعد ذلك تمرير كل العقائد الباطلة بدعوى أخذ حق آل البيت والدفاع عنهم، وهو ما حدث فعلاً بعد ذلك.

نتائج البحث:

١- أن الغلو في فاطمة رضي الله عنها عند الباطنية لم يقتصر على الفضل والمكانة، بل شمل جوانب حياتها، فكثرت القصص والروايات المزعومة عن آل البيت فيما يخص ولادتها، وزواجها، وحتى وفاتها، وتم تأويل الكثير من الآيات والأحاديث لتوافق معتقدهم الغالي.

٢- أن الغلو الباطني في فاطمة رضي الله عنها متفاوت في درجته، ففي بعض الأحيان يصل إلى الشرك، وأحياناً دون ذلك.

٣- أن الطريق إلى النجاة من الغلو في الأشخاص _والذي قد يتطور ويصل إلى الشرك_ هو في اتباع الهدي القرآني الذي ينهى عن الغلو، ويذكر ما حل بأهل الكتاب نتيجة لذلك.